

## المحاضرة الثانية

### الفكر الجزائري في العصر القديم

#### يوبيا الثاني نموذجا

هناك العديد من المقاومين الأمازيغيين الذين خاضوا المعارك والبطولات القتالية أمثال : تاكفاريناس وماسينيسا ويوغرطة و يوبا الأول، ولكن ما يميز هؤلاء عن يوبيا الثاني هو أن هذا الأخير اشتهر بالمقاومة الثقافية فقد حارب الرومان بسلاح العلم والثقافة والفنون والآداب وتمدين البوادي والحواضر. ومن هنا، فقد اتخذ يوبيا الثاني الثقافة سبيلا لخلق نوع من الاستقرار الحضاري في الكثير من المناطق الأمازيغية. فمن هو يوبيا الثاني ؟ وماهي أبرز إنجازاته ؟

#### - من هو يوبيا الثاني؟

ولد يوبيا الثاني حوالي 52 ق.م في مملكة نوميديا، وهو ابن الملك يوبيا الأول الذي قاوم الرومان مقاومة شرسة، وبعد هزيمة يوبيا الأول أمام القوات الرومانية، أسر يوليوس قيصر ابنه يوبيا الثاني الذي كان طفلا صغيرا بين خمس وسبع سنوات، فحمله إلى روما حيث نشأ في البلاط الفاخر، وعاش في كنف الإمبراطور أغسطس الذي خلف قيصر، فعلمه الفنون والآداب والعلوم وشؤون الحكم في مدارس ومعاهد روما وأثينا ، ونظرا لمكانة يوبيا الثاني الثقافية وصدق ولائه وإخلاصه للإمبراطور الروماني أغسطس، فقد أجلسه هذا الأخير على عرش موريطانيا الغربية نظرا لما قام به من خدمات جليلة لصالح شعبه. وبالتالي، حكم يوبيا الثاني خمسين سنة في ظل الحماية الرومانية، ولم يضيع هذه السنوات إلا فيما يعود على شعبه الوفي بالخير والسؤدد والهناء. وبالتالي عرفت أيامه بالاستقرار والهدوء حتى توفي سنة 23م، ليخلفه ابنه بطليموس الذي نهج سياسة أبيه في توحيد الأمازيغيين وتحقيق آمالهم وطموحاتهم. بعد وفاة يوبيا الثاني أصبح المغرب تابعا للحكم الروماني مباشرة، وهذا ما جعل الأمازيغيون المغاربة يدخلون في مقاومة شرسة ضد القوات اللاتينية التي ستنتهي بطرد الرومان وحلول الوندال والبيزنطيين.

#### أولا: الإنجازات السياسية والإدارية والاقتصادية

تمكن يوبيا الثاني ومن بعده ابنه بطليموس من توحيد القبائل الموريتانية في إطار مملكة مورية واسعة الأطراف تنقسم إلى قسمين: موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية. وستكون

موريطانيا خاضعة للوصاية الرومانية على يد يوبا الثاني منذ 25 ق.م ، ويعني هذا أن يوبا الثاني الذي تربى في العاصمة الإيطالية سيكون حليفا للرومان وتابعاً وفيما لهم وصنيعة في أيديهم. لذلك، سمحوا له بإدارة مملكة موريطانيا الطنجية أولاً وموريطانيا القيصرية ثانياً. وأول ما قام به يوبا الثاني بمساعدة ابنه بطليموس الذي كان يتولى شؤون القيادة العسكرية هو العمل على توحيد القبائل الأمازيغية في المغرب، فتمدين مملكته حضارياً وثقافياً وعلمياً، ثم تزيينها عمرانياً وهندسياً بالإستيتيقا (الجمالية) اليونانية والرومانية والقرطاجنية والأمازيغية في إطار وحدة تتصهر فيها جميع هذه الملامح الموروثة . وبعد ذلك، اتخذ يوبا الثاني عاصمتين لمنطقة نفوذه " شرشال" في الجزائر و "وليلي" عاصمة له في المغرب. وأنشأ يوبا الثاني في عاصمته " شرشال" و "وليلي" حكماً ديمقراطياً نيابياً تمثلياً، إذ طالب بتكوين مجلس بلدي يتم انتخاب أعضائه من بين المواطنين الأحرار ، ويتولى كل مجلس تسيير أمور المدينة على غرار المدينة الرومانية. بالإضافة إلى الجانب الإداري، فقد حقق عصر يوبا الثاني طفرة اقتصادية متنوعة وازدهاراً تجارياً كبيراً ، لأنه شجع الزراعة والصناعة والتجارة.

### ثانياً: الإنجازات الفكرية والثقافية والفنية

يعتبر يوبا أو جوبا الثاني من كبار العلماء والمتفكرين الأمازيغ إذ كان يمتاز بسعة العلم والاطلاع، وكان كثير السفر والبحث والتجوال وموسوعي المعارف والفنون. وقد ألف كثيراً من الكتب والبحوث والمصنفات في التاريخ والجغرافيا والرحلة والطبيعات والفنون والآداب والطب والعلوم الاستكشافية، ولكن هذه المؤلفات النادرة والثرينة لم تصل إلينا سليمة، بل ثمة إشارات إليها في كتب المؤرخين مبنوثة هنا وهناك. كما اهتم يوبا الثاني بالجانب الثقافي والعلمي والفكري ، فأعد خزانة ضخمة جمع فيها أنواعاً من الكتب والوثائق العلمية والتاريخية، واستقطب نحو عاصمته كبار العلماء والأطباء من اليونان والرومان، وجمع رحلاته العلمية وكشوفاته الطبيعية والجغرافية وأحاديثه عن المغرب وخاصة المجتمع الأمازيغي وعاداته ولغته وتقاليدته في ثلاثة مجلدات ضخمة سميت "ليبيكا" Libyca . ، و إذا انتقلنا إلى مؤلفات يوبا الثاني فهي كثيرة لا يمكن عدها أو حصرها، ومنها: " تاريخ بلاد العرب" les Arabica الذي وضعه لتعليم يوليوس قيصر إمبراطور الرومان، وهو كتاب يبحث في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها، و"آثار آشور" وقد كتبه بعد أن رأى بلاد

الأشوريين واستمتع بحضارتهم وثقافة بلاد الهلال الخصيب، كما كتب عن "آثار الرومان القديمة" ، و" تاريخ المسارح " الذي تحدث فيه عن الرقص وآلاته الموسيقية ومخترعي هذه الفنون، وكتب " تاريخ الرسم والرسمين " ، وكتاب "منابع النيل. وزد على ذلك ، أن ليوبا الثاني مكتبة عامرة بالكتب المتميزة في مختلف الفنون والعلوم والآداب، وكان له نساخ عديون، كما كانت له عناية خاصة بجمع التماثيل والصور واستقدام النفايس من مختلف الأقطار، وتوجد منها الآن كمية ثرية بمتحف الجزائر وشرشال. وكانت ليوبا الثاني أيضا مكانة كبيرة في المجتمع الروماني مادام قد حظي بتدريس يوليوس قيصر الروماني وسهر على تثقيفه وتعليمه. وكان يوبا الثاني يتقن لغات عدة كاللغة اليونانية واللغة اللاتينية واللغة البونيقية ولغته الأمازيغية المحلية التي كان يتواصل بها مع فئات شعبه. ومن الناحية اللغوية، فقد سهر يوبا الثاني على نشراللغة اليونانية واللغة اللاتينية باعتبارهما لغتي الفكر والثقافة في ذلك الوقت، دون أن ينسى لغته الأمازيغية التي كانت أداة للتواصل والتعامل وتبادل الأفكار والاتصال والتبليغ في المنزل والشارع والحقول والمصانع والمدارس والمعاهد. ما يمكن إثباته في الأخير أن يوبا الثاني ملك أمازيغي مثقف خدم شعبه على جميع المستويات والأصعدة، وحقق لموريطانيا القيصرية والطنجية عهدا من الازدهار والرخاء لمدة نصف قرن من الحكم تحت المراقبة الرومانية بشكل مباشر أو غير مباشر. وإذا كانت المقاومة الأمازيغية في شمال أفريقيا ذات ملامح عسكرية واجتماعية ودينية ، فإن يوبا الثاني استطاع أن ينهج أسلوب المقاومة الثقافية التي أظهرت الأمازيغيين في مستوى لائق ومحترم، وجعلتهم شعبا متحضرا متمدنا يضا هي الشعوب المتجاورة كالشعبيين: اليوناني والروماني في مجال الآداب والفنون والعلوم والمعارف الفكرية، بل قد يتفوق عليهما في الشهامة والأنفة وخوض الحروب حبا في الحرية والتضحية من أجل الاستقلال والتخلص من المستعمر الدخيل وعدم الاعتداء على الآخرين.